

دور القصة في تثقيف الطفل الجزائري

**من خلال وسائل الإعلام - الإذاعة المسموعة أنموذجا -
دراسة استطلاعية لعينة من تلاميذ الطور الابتدائي**

دليلة عامر. أستاذة محاضرة

كلية الإعلام والاتصال

جامعة الجزائر3

دور القصة في تثقيف الطفل الجزائري من خلال وسائل الإعلام – الإذاعة المسموعة أنموذجا -

دراسة استطلاعية لعينة من تلاميذ الطور الابتدائي

دليلة عامر

الملخص

تعتبر الإذاعة المسموعة الوسيلة الإعلامية الأكثر استدعاءً لحاسة السَّمع، ويمكنها أن تساهم في العملية التربوية والتعليمية في المدرسة، حيث تتناول المنهج الدراسي بأسلوب متطور يجعل الحقائق العلمية سهلة التصور بفضل استخدامها طرقاً مختلفة عن تلك التي تُستخدم في الفصل. تساعد الإذاعة المعلم كوسيلة توضيحية لدرسه الذي يلقيه على التلميذ، وتساعد التلميذ على حسن الاستيعاب والفهم.

ورواية القصة من خلال الإذاعة يحفز التلميذ على الانتباه والتركيز وفهم أحداث القصة بتفاصيلها بفضل وسائل الجذب التي تستعملها الإذاعة من مؤثرات صوتية وموسيقى وتتابع الأصوات الجميلة. والفهم يؤدي إلى اكتساب المعلومات التي تساهم بشكل فعال في تثقيف الطفل وتزويده بالمعارف المختلفة في جميع الميادين.

ومن خلال هذا البحث تناولنا دور القصة في تثقيف الطفل الجزائري من خلال وسائل الإعلام – بصفة عامة – والإذاعة المسموعة – بصفة خاصة -

مقدمة:

تعتبر القصة وسيط تربوي فعّال لتنمية قدرات الأطفال الإبداعية حيث يتيح استخدامه الفرص أمام الأطفال للاستكشاف واستخدام الخيال، ورفع تقدير الذات، وتنمية روح المخاطرة، وحب الاستطلاع، والدافع للإنجاز.¹

كما أكدت الدراسات على أهمية استخدام رواية القصة كأداة لتنمية عمليات التفكير والخيال والتمثيلات البصرية واللغة وتنمية الاتجاهات والقيم لدى الأطفال، وسماحت المخاطرة وحب الاستطلاع والتعقيد ونقل الحكمة من جيل إلى جيل.

وبواسطة السّمع يتلقى الطفل القصة، ويقول أحد الحكماء: إنّ أوّل العلم الصّمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرّابع العقل، والخامس نشره.

وبواسطة السّمع، يتصل الطفل بالعالم الخارجي، يتعرّف على أصوات الإنسان والحيوان والأشياء والظواهر الطبيعية، مثل: صوت الريح وأمواج البحر، وصوت الرّعد... إلخ. ويتعرّف الطفل، عن طريق السّمع إلى أصوات الحروف التي تمكّنه من نطقها النّطق الصّحيح.

وكما قال الدكتور عزي عبد الرّحمن، السّمع أدى إلى ميلاد المعنى، أمّا الصّورة أدّت إلى خسوفه.²

وتعتبر الإذاعة المسموعة الوسيلة الإعلامية الأكثر استدعاءً لحاسة السّمع، ويمكنها أن تساهم في العملية التربوية والتعليمية في المدرسة، حيث تتناول المنهج الدراسي بأسلوب متطوّر يجعل الحقائق العلمية سهلة التّصوّر بفضل استخدامها طرقاً مختلفة عن تلك التي تُستخدم في الفصل. تساعد الإذاعة المعلّم كوسيلة توضيحية لدرسه الذي يلقيه على التلميذ، وتساعد التلميذ على حسن الاستيعاب والفهم.

ورواية القصة من خلال الإذاعة يحفز التلميذ على الانتباه والتركيز وفهم أحداث القصة بتفاصيلها بفضل وسائل الجذب التي تستعملها الإذاعة من مؤثرات صوتية وموسيقى وتتابع الأصوات الجميلة. والفهم يؤدي إلى اكتساب المعلومات التي تساهم بشكل فعال في تثقيف الطفل وتزويده بالمعارف المختلفة في جميع الميادين.

ومن خلال هذا البحث، ارتأينا طرح الإشكالية التالية: ماهو دور القصة في تثقيف الطفل الجزائري من خلال وسائل الإعلام - بصفة عامة - والإذاعة المسموعة - بصفة خاصة - ؟

استخدمنا في دراستنا هذه المنهج المسحي الذي يدرس الظواهر كما هي في الواقع، وهو عبارة عن دراسة عامة لظاهرة موجودة في جماعة معينة، وفي مكان معين وفي الوقت الحاضر.³ كما أننا استعنا بالمنهج المقارن، حيث قمنا في هذه الدراسة بمقارنة إجابات التلاميذ - عينة البحث - الذي عرضنا عليهم قصة واحدة، لكن في البداية كانت ملقاة من طرف المعلمة، ثم عرضنا القصة نفسها من خلال الإذاعة المسموعة.

كما أننا استعنا باستمارة الاستبيان، التي تعدّ الدليل أو المرشد الذي يوجّه المقابلة بين الباحث والمبحوث بعد أن يرسم مساراتها ويحدّد موضوعاتها ويشخص طبيعة المعلومات التي يطلبها الباحث من المبحوث.⁴

وقد صمّمنا من أجل إنجاز هذا البحث استمارتين استبيانيتين وزّعناهما على العينة نفسها مع اختلاف في بعض الأسئلة المطروحة حتى نتمكن من إجراء عملية المقارنة، بالنظر إلى نموذج القصة التي عرضناها على التلاميذ - عينة الدراسة - حيث قرأت المعلمة القصة على التلاميذ في المرحلة الأولى، وعلى إثرها وزّعنا الإستمارة الأولى. ثمّ استمع التلاميذ إلى القصة نفسها من خلال الإذاعة المسموعة.

بطاقة تعريفية عن القصة النموذجية:

عنوان القصة: العش الغريب

إنتاج: مسموع للمعرفة الصوتية

تأليف: علاء سليمان

قراءة وتمثيل: أريج النابلسي

اعتمدنا في بحثنا على العينة المقصودة، وهي النموذج المختار من مجتمع البحث الكبير بطريقة مقصودة ومتعمدة أي بطريقة لا تعطي جميع وحدات مجتمع البحث فرصة متساوية للاختيار، فالباحث يحدّد حجم العينة المنتظمة بالطريقة التي تلائمه.⁵

وقد اخترنا 19 تلميذا من الصفّ الخامسة ابتدائي بمدرسة الشهيد ينون بلقاسم بالمحمدية- الجزائر العاصمة، عشرة منهم إناث وتسعة ذكور. واختيارنا لهذه العينة يعود إلى الخصائص العقلية والإدراكية والنفسية التي يتميَّز بها الطفل في هذه الفترة العمرية بالذات، حيث يستطيع استيعاب القصة والإجابة على أسئلة الاستمارة بكل سهولة.

ويتفوق الأسلوب القصصي على التلقين في تعليم القيم الأخلاقية وتنمية التفكير الأخلاقي، إذ يعتبر دامون DAMON، 1988 أن دور الفرد يكون سلبيا في النشاطات القائمة على التلقين في حين أن القصص والمواقف الحسية المباشرة تعد أساليب أفضل لأنها تشجّع التفاعل والتعلم الإيجابي.⁶

وتعد القصة بما فيها من آليات جذب وسيطرة تعمل عمل السحر لدى السّامع، وبخاصة الأطفال إذا أنها تستثير انتباههم بدرجة فوق العادة، وتملأ أدمغتهم بالأفكار، وتدفعهم للقيام بسلوكيات فورية وتقلّل لديهم الإحساس بالمكان، وتغيّر حالتهم

الذهنية، وكل ذلك يعمل على استحضار حالات معرفية ذهنية لم تكن قد مرّت بهم من قبل، كما أنّهم يشعرون بحالة تحليق وطيران في آفاق لم يعهدوها من قبل.⁷

ورواية القصة هي عملية المشاركة والاتصال الحي تهدف إلى تنمية الخيال ودفع التصورات الذهنية والتمثيلات البصرية إلى عقل المتلقي، وهي محور نشاطات التعلّم.

وتشمل القصة تقنيات حكايتها لفظيا وبصريا للأطفال عبر الأداء اللفظي وتعتبر طبقات الصوّت ونبراته وتقمّص الشخصيات المختلفين والتلوين في الأداء بما يتناسب مع الموقف والحالة الانفعالية التي يمثّلها بتوظيف كل طاقات رواية القصة من لغة الجسد والإيماءات والإشارات وغيرها، بحيث يستثير الرواية فضول الطفل وخياله ودافعيته ويسهل حدوث التعلّم.⁸

ومن معايير القصة الجيدة الموجهة للطفل:

أولا: شروط متعلقة بالحبكة:

حيث يجب أن تضم القصة بعض الشواهد الدالة على السببية أو العلة والمعلول، وأن تكون الأحداث متصلة ومتناسبة مع خصائص الشخصيات ومحور القصة.

كما يجب أن تضم القصة مخططا واضحا للأحداث، تتطور فيه هذه الأخيرة إلى أن تصل إلى العقدة فيشعر الطفل بالسعادة والرضا وهو يعيش حل العقدة مع نهاية القصة، كما يجب أن تكون الأحداث المؤدية إلى حل العقدة مختارة بعناية ومقنعة ومتلائمة مع المضمون السابق من أحداث وشخصيات وزمان ومكان، كما أنّه يجب أن تكون الحبكة قابلة للتصديق ومشابهة للحياة اليومية بوجه أو بآخر كي تقترب من عقل الطفل، كما يجب على كاتب القصة الموجهة للأطفال أن يحرص على ألا تغطي الأحداث الجانبية على الحدث الرئيسي كي لا يتشتت ذهن

الطفل، وكي تصل الرسالة النهائية للقصة بسلاسة، كما يجب أن تتضمن القصة حلاً سريعاً للعقدة ونهاية خاطفة بعد الوصول إلى الذروة وختاماً جيداً يقي القصة متماسكة.⁹

والقصة الموجهة للطفل لا يجب أن تتضمن الكثير من العقد أو الأحداث المتشابكة والمعقدة أو ما يسمى بالحبكات المركبة لأن مفاهيم الزمان والمكان والسببية مازالت تتشكل في مرحلة الطفولة المتوسطة، كما أن تكون الحكمة مشوّقة جذابة تتضمن أحداثاً مؤثّرة وإلا فقد الأطفال اهتمامهم بالقصة.

ثانياً: شروط متعلقة بالبيئة الزمانية والمكانية:

تصمم القصة الموجهة للطفل بحيث توحى أن الأحداث قابلة للوقوع في أي زمان ومكان، أما إن كانت مصمّمة للتعبير عن زمان ومكان محدّدين، فإن على الكاتب مراعاة أن تعكس أجواء القصة ما يمتاز به ذلك المكان والزمان من عادات وتقاليد وحقائق، بحيث تكون خلفية القصة صادقة وتكون القصة قادرة على بعث الحياة في الأحداث والشخص.¹⁰

ثالثاً: شروط متعلقة بالموضوع:

يجب أن يكون موضوع القصة الموجهة للطفل قيماً ومفيداً وأن يعكس قيماً بناءة أو عظة أو عبرة أو فكرة مبتكرة، وأن يقوم على الصدق في الفكرة ذاتها وليس على التصوير وحده، وإن كان بعض النقاد يرى أن الفكرة الخيالية قد تكون ممتعة لذاتها بغض النظر عن كونها مفيدة أو تطرح حلولاً عملية أو أفكاراً واقعية قيّمة.¹¹

رابعاً: شروط متعلقة بالشخص:

كلّما كان تصوير الشخصيات دقيقاً ومعبراً وقريباً من الواقع ومحاكياً لما يعرفه الطفل في حياته اليومية من شخصيات، كلما كان أفضل، حتى ولو كانت تلك الشخصيات خيالية.

كما أن أفعال الشخصيات لا بد أن تتسق مع تصويرها في أبعادها الفيزيائية والاجتماعية والجغرافية وخصائصها الديموغرافية، وتتسق مع الأحداث بحيث يجعلها حية في ذهن الأطفال.

خامسا: شروط متعلقة بالأسلوب:

كلما كان أسلوب الكاتب بسيطاً أنيقاً في استخدامه للمفردات الموسيقية التي تتمتع بوقع بهيج على الأذن، وكلما كانت جملة منتقاة بعناية وبعيدة عن الألفاظ الغريبة والشاذة في اللغة، وكلما كانت مفرداته مستمدة من واقع الطفل ومتوافقة مع قاموسه اللغوي، وكلما عكس الأسلوب أجواء القصة النفسية والاجتماعية والزمنية والمكانية، وتتسق مع الحبكة والشخصيات، كلما نجحت القصة في التأثير في الأطفال.¹²

والأسلوب الجيد هو الذي ينوع بين طول الجمل ونوعية المفردات المستخدمة وتتوَعّع المواقف بين الفزع أو السعادة أو الاسترخاء. ومن المعلوم أن الجمل الموسيقية يجب أن تضم إيقاعاً لغوياً داخلياً وجرساً ظاهراً جذاباً للأطفال ما قبل المدرسة والصفوف الابتدائية الثلاث الأولى. ولكنها ليست شرطاً لدى الأكبر عمراً، كما أن المحسنات البديعية واستخدام الصور اللغوية كالتشبيه والاستعارة والمجاز يمكن للأطفال العاشرة فما فوق تقديره في القصة، ولكن ليس الأطفال الأصغر عمراً.¹³

سادسا: شروط متعلقة بمراعاة أذواق الأطفال ومتعهم:

يرى العديد من الباحثين أن الطفل خلال مراحل العمرية، يفضل الحركة على السرد في القصة، بمعنى أنه يفضل الأحداث على السرد اللفظي الوصفي الحافل بالتفاصيل أو ذلك الذي يتطلب

التأمل والتفكير العميق، كما يميل إلى وجود المحادثة كعنصر ضمن القصة، بالإضافة إلى الصور التي تطلق خيال الأطفال وتضفي أبعاداً أكثر ثراءً على الموضوع.

كما أن الأطفال يختلفون في نوع القصص التي يفضلونها باختلاف المراحل العمرية، ففي الوقت الذي يفضل فيه أطفال ما قبل المدرسة القصص الواقعية لأنهم يقعون في مرحلة ما يسمى بالخيال المحدود بالواقع. في حين أن أطفال المدرسة الابتدائية يفضلون القصص الخيالية التي تتسم بالسحر والغموض والشخصيات غير الواقعية، ثم يتجهون في أواخر هذه المرحلة إلى تفضيل القصص البطولية وقصص المغامرات.¹⁴

أما شكل الموضوعات التي تقدم للطفل تقسم إلى أربعة أقسام: اللغة - شكلية اللفظ - شكلية المادة - شكلية العمل أو الأسلوب العام.

أ- اللغة:

ونقصد باللغة، ونحن بصدد الحديث عن وسائل الإعلام، هو العمل على استحداث لغة خاصة بالطفل، تخاطب بها أجهزة الإعلام وجدانه وعقله، إنها الخيط الأول الذي يحقق المشاركة الوجدانية بينه وبين ما يقدم له من عمل فني أو أدبي، واللغة هنا لا تقتصر على الكلمة، بل كل وسيلة تعبير يمكن أن توصل إلينا إحساساً أو معنى، وأن تنشئ بيننا وبينها حواراً، ظاهرياً كان أم داخلياً، فيمكن أن تطل علينا اللغة مثلاً، من خلال الحوار القائم بين أبطال تمثيلية معينة، أو من الحوار الناشئ بين مقدم البرامج ومستمعيه أو مشاهديه، وكذلك يمكن أن تطل علينا اللغة من خلال مؤثر صوتي أو تعاقب أحداث معينة، أو تعبيرات جسمانية صامتة، أو انسجام بين الألوان جاء بطريقة مميزة داخل لوحة مرسومة أو مصورة.¹⁵

وتتميز اللغة المنشودة - اللغة الخاصة بالطفل - بصفات أساسية ثلاث:
أولها: البساطة وبعدها عن التعقيد، وثانيها: الوضوح، وثالثها: الإيقاع،
وهو ما يميّزها عن لغتنا العادية.

ب- شكلية اللفظ :

لقد اختلفت الآراء حول قضية اللغة العربية الفصحى، واللغة
العامية والتفاضل بينهما في تقديم الإنتاج الأدبي والفني، فالبعض
يدعو بضرورة استخدام اللغة العربية، مستند إلى أنّها اللغة الأصل،
وهي اللغة المفهومة على الصعيد المحلي والصعيد العربي، والبعض
الآخر يدعو إلى ضرورة استخدام اللغة العامية التي تخاطب قاعدة
عريضة من الجماهير، وهناك فريق ثالث ينادي بضرورة استخدام
اللغة العربية المبسّطة، السهلة التي يمكن أن يفهمها الجميع، وتجنّب
الألفاظ المعقّدة.

وفي مجال ثقافة الطفل، لا بد من استخدام اللفظ السهل البسيط
الذي لا يحتمل التأويل أو الذي يحمل أكثر من معنى، مع تجنّب
استعمال الكنايات والاستعارات، وغيرها من التراكيب والصور التي
يمكن لها أن تؤثر على تفكير الطفل وتسبب له الحيرة.

أمّا فيما يخص الإيقاع في اللفظ الموجه للطفل، يجب مراعاة
تجنب التكلف، وخاصة عند استخدام السجع، أو عند استخدام
القافية والأوزان الشعرية، إلا إذا كانت المادة المقدّمة في شكل
شعري أو غنائي.

ج- شكلية المادة:

ويمكن تقديم العمل الأدبي والفني للطفل عن طريق جميع
الأشكال الأدبية والفنية المعروفة من قصة أو أغنية أو عن طريق
تمثيلية، إذاعية كانت أم تلفزيونية.

وفي هذا المجال، من الأفضل كثيرا عند تقديم المادة الأدبية أو الفنية عن طريق أي شكل من هذه الأشكال أن نلتزم باستخدام قواعد الشعر التقليدي، مع الالتزام بالأوزان والتفاعيل والقوافي، وتجنب أساليب الشعر المعاصر، وكذلك في مجال التمثيلية، يفضل استخدام قواعد الدراما التقليدية، والتقليل من استخدام التيارات المسرحية الحديثة، من استخدام الأسلوب البريختي مثلا.¹⁶

د - الأسلوب العام:

وهو الأسلوب غير المباشر في التوجه إلى الطفل، فلو فرضنا أن طفلا جلس يوما إلى الإذاعة، أو إلى التلفزيون، فاستمع أو شاهد من يقول له: " أيها الطفل، لا بد أن تتعلم النظافة، كن نظيفا، فإن النظافة من الإيمان، وبالنظافة يمكن لك أن تحافظ على صحتك، اغسل يديك قبل الأكل وبعده، قص أظفرك كل صباح، اغسل وجهك من الأتربة، لا تأكل المأكولات التي يحيط بها الذباب. ولنا أن نسأل، ماذا حقق جهاز الإعلام في هذه الحالة من فائدة للطفل؟.

هذا الأسلوب المباشر، النهي المباشر والأمر المباشر ينفر منه الطفل، ويدعوه إلى الابتعاد عن هذه الأجهزة التي تعتبر صورة طبق الأصل للمنزل أو المدرسة.

غير أن الطفل إذا استمع أو شاهد من خلال الجهاز الإعلامي إلى تمثيلية، بطلها طفل آخر غيره، يتخذ في حياته من النظافة مبدأ يلتزم به، فلا يأكل إلا ما هو نظيف، ولا يتكلم إلا ما هو نظيف، ولا يلبس إلا ما هو نظيف، وأمامه طفل على نقيص، طفل آخر غيره أيضا، يمثل القطب المقابل من الصراع، طفل اتخذ من القذارة والاستهتار طريقا لحياته، ومن خلال العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الطفلين، بين كل طفل منهما وبين من حوله من أفراد مجتمعه،

أي من خلال علاقات وأحداث درامية، يتبين للطفل المستمع أو المشاهد، كيف ساقّت القاذورات طفلها إلى مشاكل عديدة كان في غنى عنها، وكيف تسببت في مرضه، وعرضته لمخاطر كثيرة، وكيف جعلته مثار احتقار الناس ونفورهم من حوله. بينما أكسبت النظافة طفلها احترام الناس، ومنحته الصحة والقوة.

لا بد لأجهزة الإعلام أن تتخذ الأسلوب الدرامي في التوجّه إلى الطفل، ويناسب الأثر الذي يتحقق للطفل تناسباً طردياً مع استخدام الدراما في العمل المقدم، بمعنى أنه كلما زاد استخدامنا للأسلوب الدرامي في العمل الفني المقدم للطفل عن طريق جهاز الإعلام، كلما زاد الأثر داخل نفسية الطفل.

ومن بين وسائل الإعلام، نركّز في بحثنا هذا على الإذاعة المسموعة التي من خلالها يستمع التلميذ إلى القصة بطريقة مشوّقة، وهي وسيط - أي الإذاعة - هام ومساعد لإثراء ثقافة الطفل الفكرية.

بدأ الاستخدام الإذاعي لتدعيم التعليم المدرسي داخل الفصول المدرسية منذ بداية ظهور الإذاعة، وكانت بريطانيا أوّل دولة تستخدم برامج الرّاديو لإثراء التعليم المدرسي منذ عام 1924م، أي قبل إنشاء هيئة الإذاعة البريطانية بثلاث سنوات، ومع زيادة الجمهور العام، وزيادة أعداد الطلاب الذين يستقبلون البرامج التعليمية في المدارس البريطانية، نجحت هيئة الإذاعة البريطانية في ترويج شرائط تسجيل للمادة التعليمية المذاعة بالرّاديو، وذلك بالتنسيق مع وزارة التربية في إنتاج وبيع هذه الشرائط الصوتية، وبعدها شرائط الفيديو.¹⁷

ثمّ انتشرت الإذاعات المدرسية في العديد من المدارس في البلدان الغربية والعربية، غير أن الإذاعة المدرسية في الجزائر منعدمة، وإن وُجدت فهي مبادرات فردية لا تغدو أن تظهر ثم تختفي.

الجانب التطبيقي: القصة النمذجية

العشُّ الغريبُ

طَلَعَ الفَجْرُ عَلَى غَابَةِ الصَّنَوْبِرِ .. وَبَدَأَتِ الحَيَوَانَاتُ تَسْتَيْقِظُ مِنْ نَوْمِهَا .. اسْتَيْقَظَ العُصْفُورُ .. وَرَأَى إِخْوَتَهُ يَمْلُؤُونَ العُشَّ .. وَبَدَأَ لَهُ أَنَّ العُشَّ قَدْ ضَاقَ عَلَيْهِمْ .. وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: يَا اللهُ .. إِنَّ العُشَّ صَغِيرٌ وَإِخْوَتِي كَثُرُ .. وَأَشْعُرُ أَنَّ العُشَّ لَا يَتَّسِعُ لَنَا جَمِيعًا .. أُرِيدُ عُشًّا لِي وَحْدِي أَسْتَمْتِعُ بِهِ وَأَشْعُرُ بِاتِّسَاعِهِ .. ثُمَّ انْطَلَقَ العُصْفُورُ يَبْحَثُ عَنِ الطَّعَامِ كِعَادَتِهِ .. وَهُوَ يَحْلُمُ بِعُشِّهِ الخَاصِّ .. الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ ..

فِي المَسَاءِ .. عَادَ العُصْفُورُ إِلَى العُشِّ .. لِيَنَامَ بِجَانِبِ إِخْوَتِهِ .. الَّذِينَ يَمْلُؤُونَ كُلَّ جَوَانِبِ العُشِّ .. بَاحْتِئًا عَنِ فُسْحَةِ صَغِيرَةٍ لِيَنَامَ فِيهَا بَيْنَ زِحَامِ النَّائِمِينَ .. وَقَبْلَ نَوْمِهِ .. بَدَأَ العُصْفُورُ يَحْلُمُ بِالعُشِّ الخَاصِّ بِهِ ..

وَفِي صَبَاحِ بَاطِلِ هَادِيٍّ .. وَقَبْلَ أَنْ تُوقِظَ الشَّمْسُ الجَمِيعَ .. اسْتَيْقَظَ العُصْفُورُ عَلَى ضَرْبَةٍ مِنْ جَنَاحِ أَخِيهِ .. الَّذِي كَانَ يَنَامُ بِجَانِبِهِ .. فَمِنْ ضَيْقِ العُشِّ .. كَلَّمَا تَقَلَّبَ أَحَدُ العَصَافِيرِ أَصَابَ بِجَنَاحِهِ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ إِخْوَتِهِ النَّائِمِينَ .. وَمِنْ شِدَّةِ غُضَبِ العُصْفُورِ .. غَادَرَ العُشَّ مُسْرِعًا .. وَطَارَ عَنْهُ بَعِيدًا بَيْنَ الأشْجَارِ ..

طَارَ العُصْفُورُ طَوِيلًا .. وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ .. وَأَفَاقَتِ الغَابَةُ .. وَظَلَّ العُصْفُورُ يَطِيرُ بِلَا وَجْهَةٍ مُحَدَّدَةٍ .. وَلَا مَكَانَ مَقْصُودٍ .. وَفَجْأَةً شَعَرَ بِالجُوعِ وَالتَّعَبِ .. فَهَبَطَ عَلَى شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ .. نَظَرَ العُصْفُورُ مُعْجَبًا بِالشَّجَرَةِ الضَّخْمَةِ .. وَأَخَذَ يَقْفِرُ مِنْ غُصْنٍ لِأَخْرٍ .. مُتَحَفِّصًا ضَخَامَةَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الجَمِيلَةِ .. وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ .. رَأَى العُصْفُورُ

عُشًّا جَمِيلًا مُتَقَنَّ البِنَاءِ عَلَى غُصْنٍ يَتَوَسَّطُ الشَّجَرَةَ العِمْلَاقَةَ .. وَنَظَرَ
إِلَيْهِ وَقَالَ: آه .. مَا أَجْمَلَ هَذَا العُشُّ .. إِنَّهُ العُشُّ الَّذِي كُنْتُ أَحْلُمُ بِهِ
فِي كُلِّ لَيْلَةٍ .. وَنَظَرَ العُصْفُورُ إِلَى أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ .. فَوَجَدَ حُبُوبَ
الصَّنَوْبَرِ البَرِيَّةِ الَّتِي سَقَطَتْ مِنْ ثَمَارِ الشَّجَرَةِ تَمَلُّاَ المَكَانِ .. هَبَطَ
العُصْفُورُ إِلَى أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ يَنْقُرُ الصَّنَوْبَرَ .. وَيَتَنَاوَلُ فُطُورَهُ الَّذِي
تَأَخَّرَ بَعْدَ طَيْرَانِ طَوِيلٍ .. وَبَعْدَ الشَّبَعِ .. عَادَ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ ..
يُرَاقِبُ العُشَّ .. وَيَنْتَظِرُ سَاكِنِيهِ .. لِيَعُودُوا إِلَيْهِ .. فِي آيَةٍ لَحْظَةً ..

مَرَّ الوَقْتُ بِطَيِّبًا .. وَتَنَقَّلَ العُصْفُورُ مِنْ أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ إِلَى أَعْلَاهَا ..
يَنْقُرُ حُبُوبَ الصَّنَوْبَرِ اللَّذِيذَةَ .. وَيَعُودُ لِلْمُرَاقَبَةِ .. وَلَكِنْ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ
إِلَى العُشِّ الجَمِيلِ .. وَبَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ .. شَعَرَ العُصْفُورُ بِالنُّعَاسِ ..
وَلَمْ يَرِدْ العُودَةَ إِلَى عُشِّ عَائِلَتِهِ الصَّغِيرِ .. لِيُزَاحِمَ إِخْوَتِهِ عَلَى مَكَانِ
ضَيِّقٍ يَنَامُ فِيهِ .. وَنَظَرَ إِلَى العُشِّ الجَمِيلِ الفَارِغِ الوَاسِعِ .. وَحَدَّثَ نَفْسَهُ
قَائِلًا: هَذَا العُشُّ لَا يَسْكُنُهُ أَحَدٌ .. وَأَنَا أَحْلُمُ فِي امْتِلَاكِ عُشِّ جَمِيلٍ
أَنَا فِيهِ وَحْدِي .. وَأَسْتَمْتِعُ بِهِ دُونَ أَنْ يُشَارِكَنِي فِيهِ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِي ..

قَرَّرَ العُصْفُورُ النُّومَ فِي العُشِّ .. وَفِعْلًا قَفَزَ إِلَيْهِ وَسَرِعَانَ مَا
غَطَّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ .. وَهُوَ يَقُولُ: آه .. مَا أَجْمَلَ أَنْ يَنَامَ العُصْفُورُ فِي
عُشِّ أَحْلَامِهِ .. وَيُنْعَمُ فِيهِ وَحْدَهُ ..

وَفِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .. اسْتَيْقَظَ العُصْفُورُ وَهُوَ يَشْعُرُ بِالعَطَشِ ..
مَشَى العُصْفُورُ لِيَصِلَ إِلَى طَرَفِ العُشِّ .. وَيَطِيرَ إِلَى النَّهْرِ لِيَشْرَبَ ..
وَلَكِنَّهُ شَعَرَ أَنَّ طَرَفَ العُشِّ لَمْ يَكُنْ قَرِيبًا .. مَشَى .. وَمَشَى .. وَمَشَى ..
لَمْ يَصِلْ إِلَى طَرَفِ العُشِّ .. ثُمَّ فَرَدَ جَنَاحِيهِ وَطَارَ فَوْقَ العُشِّ لِيَصِلَ
إِلَى طَرَفِهِ .. وَيَتْرُكُهُ وَيَذْهَبُ لِلنَّهْرِ لِيَشْرَبَ وَلَكِنْ مَعَ طَيْرَانِهِ السَّرِيعِ
لَمْ يَكُنِ العُصْفُورُ يَتْرُكُ العُشَّ .. فَقَدْ كَانَ العُشُّ مُنْسِعًا عَلَى مَدِّ
بَصَرِ العُصْفُورِ .. أَيْنَمَا اتَّجَهَ فِي طَيْرَانِهِ .. فَإِنَّهُ يَبْقَى فِي عُشِّهِ الَّذِي

صَارَ وَاسِعًا جِدًّا .. لَأَ يَكَادُ يَرَى شَيْئًا غَيْرَهُ .. وَلَا يَرَى لَهُ نَهَايَةَ ..
اسْتَعْرَبَ الْعُصْفُورُ جِدًّا .. وَشَعَرَ بِالْخَوْفِ الشَّدِيدِ .. وَبَعْدَ اسْتِمْرَارِهِ
بِالْمُحَاوَلَةِ لِلْخُرُوجِ مِنَ الْعُشِّ الْوَاسِعِ .. دُونَ جَدْوَى .. شَعَرَ الْعُصْفُورُ
بِالتَّعَبِ الشَّدِيدِ .. أَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى أَرْضِ الْعُشِّ وَنَامَ ..

اسْتَيْقَظَ الْعُصْفُورُ صَبَاحًا .. وَبَعْدَ أَنْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَأَضَاءَتِ
الشَّجَرَةَ وَالْعُشَّ .. نَظَرَ الْعُصْفُورُ حَوْلَهُ بِبُطْءٍ .. وَوَجَدَ الْعُشَّ طَبِيعِيًّا ..
وَالشَّجَرَةَ وَأَغْصَانَهَا يُحِيطُونَ بِالْعُشِّ .. وَأَنْطَلَقَ سَرِيعًا إِلَى النَّهْرِ
لِيَشْرَبَ الْمَاءَ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ .. وَوَعَادَ لِيَأْكُلَ وَيَنْقُرَ الصَّنَوْبِرَ أَسْفَلَ
الشَّجَرَةَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ: لَقَدْ كَانَ كَأَبُوسًا فَقَطُّ .. وَأَخَذَ
بِالضَّحِكِ فَرِحًا بِعُشِّهِ الْجَدِيدِ .. وَحَيَاتِهِ الْجَمِيلَةِ ..

فِي الْمَسَاءِ .. عَادَ لِلْعُشِّ الْجَمِيلِ .. وَهُوَ سَعِيدٌ لِأَنَّهُ حَقَّقَ حُلْمَهُ ..
وَأَصْبَحَ يَعْيشُ فِي عُشِّهِ الْخَاصِّ .. ثُمَّ نَامَ .. وَإِذْ بِهِ يَحْلُمُ نَفْسَ الْحَلْمِ
الْمُزْعِجِ .. الَّذِي حَلْمُهُ الْبَارِحَةَ .. كَانَ فِيهِ يُحَاوِلُ الطَّيْرَانَ مِنَ الْعُشِّ ..
يُحَاوِلُ وَيُحَاوِلُ .. فَلَا يَسْتَطِيعُ ..

وَفِي الصَّبَاحِ اسْتَيْقَظَ يَنْظُرُ مِنْ حَوْلِهِ بِاسْتِعْرَابٍ .. لِيَرَى الْعُشَّ
عَادَ لِحَجْمِهِ الطَّبِيعِيِّ .. عَلَى الشَّجَرَةِ .. وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ فِي السَّمَاءِ ..
وَالْحَيَاةُ طَبِيعِيَّةٌ .. وَبَعْدَ قَلِيلٍ .. سَمِعَ الْعُصْفُورُ صَوْتًا يَقْتَرِبُ مِنَ
الشَّجَرَةِ .. وَإِذْ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْحَمَامِ تَحُطُّ عَلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ .. اقْتَرَبَ
مِنْهُمْ الْعُصْفُورُ .. وَقَالَ لَهُمْ: مَرْحَبًا .. هَلْ تَعِيشُونَ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ ..
أَمْ أَنْتُمْ مُجَرَّدُ زَائِرِينَ ؟ .. فَأَجَابَتْهُ إِحْدَى الْحَمَامَاتِ: نَحْنُ سِرْبُ حَمَامٍ
مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ .. وَنَحْنُ مُسَافِرُونَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ .. وَمَرَرْنَا مِنْ هُنَا
لِنَأْخُذَ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ .. ثُمَّ نُكْمِلُ رِحْلَتَنَا .. سَأَلَ الْعُصْفُورُ
مُسْتَعْرِبًا: وَهَلْ تَقْطَعُونَ كُلَّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ جَمِيعًا؟ .. لِأَبَدٍ أَنْكُمْ
تَشْعُرُونَ بِالتَّعَبِ وَالْمَلَلِ مِنْ طُولِ السَّفَرِ .. أَجَابَتِ الْحَمَامَةُ: لَأَ .. عَلَى

العكس تمامًا .. فإنَّ السفرَ مع الجماعة .. يجعلُنَا نشعرُ بالمتعة ..
ويُنسينَا طولَ المسافة ..

وبعدَ هذا الحوار .. طارَ سِرْبُ الحمامِ مُكمِلاً رحلته الطويلة ..
وعادَ العصفورُ إلى عشِّه الجميل ..

وحلَّ الظلامُ .. وجاءَ موعدُ النومِ .. لم يستطع العصفورُ أنْ
يتوقَّفَ عن التفكيرِ بما قالته الحمامة .. وتذكَّرَ إخوته .. وقال: إنَّ
هذا العشَّ الجميلَ هو حقًا ما كنتُ أتمنى أنْ أحصلَ عليه لأعيشَ
فيه وحدي .. مُستمتعًا بنومي .. ولكنْ منذُ أنْ تركتُ إخوتي ..
وصرتُ أعيشُ لوحدي .. لم أهنأ بنومي .. وبقيت الكوايسُ تلاحقني
.. وكما قالت الحمامة .. فإنَّ المسافةَ الطويلةَ والرحلةَ الشاقةَ .. تُصبحُ
أكثرَ إمتاعًا وأقلَّ مشقةً إنْ كانت مع الجماعة ..

وفجأةً .. دونَ تفكيرٍ .. انطلقَ العصفورُ عائداً إلى عشِّه القديمِ
.. وعندما وصلَ كانَ الوقتُ متأخراً .. ووجدَ إخوته نائمين .. نظرَ
إليهم وهو يبتسم .. وأخيراً .. بعدَ أنْ وجدَ فسحةً بينَ إخوته .. نامَ
بهُدوءٍ وسلامٍ ..

وفي الصباح .. استيقظَ على صوتِ إخوته فرحين مهللين لعودته
إليهم سالماً .. ويدعوئه لمشاركتهم البحثَ عن الطعامِ .. فطارَ معهم
وهو في غاية السعادة ..

أدركَ العصفورُ أنَّ وجودَهُ معَ إخوته ولو كانَ العشُّ صغيراً
ومكانُ نومه ضيقاً سيكونُ أكثرَ سعادةً له .. ونومه في العشِّ معَ
عائلته هو أهنأ له منَ عشِّ يَمكُثُ فيه وحيداً .. ومُنذُ ذلكَ الحينِ ..
لم يعدَ العصفورُ يحلمُ بأنْ يعيشَ وحده أبداً.

نتائج الدراسة:

- 1- يبلغ عدد المبحوثين 19 تلميذا، 10 تلميذات و9 تلاميذ، 94.73% منهم لا تتجاوز أعمارهم العشر سنوات، وفي هذا السن يكون الطفل قد اكتمل نموّه - تقريبا- من النّاحية العقلية والجسدية والنفسية، وبالتالي بإمكانه أن يدرك ويفهم المعارف التي يتلقاها بسهولة.
- 2- لقد أبدى جميع التلاميذ المبحوثين قبولا وإعجابا بصوت معلّمهم التي قرأت لهم القصّة، بينما اثنان من العيّنة أي 10.52% لم يعجبهم صوت المذيعة التي قرأت القصّة نفسها، بالرغم من أنّ صوتها كان أجمل من المعلمة، ويعود هذا إلى أنّ التلاميذ تعودوا على معلّمهم لهذا فإنّهم يرونها الأحسن على الإطلاق.
- 3- لقد أُعجب جميع التلاميذ - عيّنة الدراسة- بطريقة قراءة المعلمة للقصّة ، لأنّها حسب بعضهم كانت تقرأ بوضوح وتشرح بيديها، بينما 89.47% من أفراد العيّنة أعجبتهم طريقة قراءة المذيعة لأنّ صوتها كان جميلا وكانت أثناء الإلقاء تقوم بتمثيل دور العصفور والحمامة بصوت جميل. إلا أنّ تلميذين من أفراد العيّنة لم يجيبا ب نعم أو لا، وهذا يعني أنّ المذيعة كان لديها القبول نفسه لدى أفراد العيّنة مثل المعلمة تماما.
- 4- لقد أُعجب 89.47% من أفراد العيّنة بالأدوار التي مثّلتها المذيعة أثناء إلقاء القصّة، وهذا يعني أنّ الطفل يجذب إلى القصص مصاحبة بالتمثيل أكثر من القصص التي تكون مقروءة بطريقة سردية.
- 5- لقد تبين لنا من خلال هذا البحث أنّ الأطفال لديهم إدراك قوي للأصوات التي سمعوها أثناء رواية القصّة من طرف المذيعة، بحيث 100% من أفراد العيّنة حدّدوا بدقّة هذه الأصوات، وهذا يعني أنّ الإذاعة بإمكانها أن تطوّر حاسة السّمع لدى الأطفال، وهم يتلقون من خلالها معارف كثيرة.

6- لقد أبدى 92.98% من أفراد العينة إعجاباً بصوت الموسيقى المصاحبة للقصة، لأنها حسبهم تجعل المستمع يستمتع، كما أُعجبوا بزقزقة العصافير وصوت العصفور وهو يتحدث، وهذا يدلّ أنّ الطفل يحبّ كثيراً تنوّع الأصوات أثناء رواية القصة، وهذا هو الدور الذي تقوم به الإذاعة المسموعة من أجل مساعدة المعلم على تبسيط المعلومة وإيصالها إلى التلميذ بطريقة مسليّة.

7- لقد طُرح على التلاميذ - عينة الدراسة - ثمانية أسئلة حول مضمون القصة التي قرأتها المعلمة، فكانت 78.94% من الإجابات صحيحة، وهذا يعني أنّ نسبة كبيرة من التلاميذ استوعبوا وفهموا القصة، وهذا يدلّ أنّ المعلمة تمكّنت من قراءة القصة بطريقة واضحة ومفهومة بحيث أنّه يسرّ الاستيعاب لدى التلاميذ.

8- لقد طُرح على التلاميذ - عينة الدراسة - سبعة أسئلة حول مضمون القصة التي قرأتها المذيعة وهي نفسها، فكانت 87.96% من الإجابات صحيحة وهذه النسبة أكبر من النسبة السّابقة التي تحصلنا عليها عند قراءة المعلمة للقصة، وهذا يبيّن أنّ المؤثرات الصوتية وتنوّع الأصوات والتمثيل يسهّل كثيراً فهم القصة وبالتالي إدراك الأفكار التي تحتويها والتي سوف تظلّ راسخة في ذهن التلميذ.

9- من خلال بحثنا توصلنا إلى أنّ 52.63% من أفراد العينة فضّلوا القصة الملقاة من طرف المذيعة، وقد برّروا إجاباتهم بتنوّع الأصوات وحضور الموسيقى والأدوار التي كانت تمثّلها المذيعة بصوتها الجميل، بينما 47.36% فضّلوا القصة نفسها ملقاة من طرف المعلمة لأنها - حسبهم - كانت تقرأ وتشرح بيديها كما أنّها كانت تقرأ قراءة مسترسلة. نلاحظ أنّ النسبتين متقاربتان،

وهذا يدلّ أنّ المعلّمة لديها من الخبرة التي تجعل التلاميذ يستوعبون ما تقوله ويحبّذون طريقتها في التدريس، ومع هذا فقد فضّلوا قراءة القصّة من طرف المذيعة وهذا يبيّن الدّور الكبير الذي تلعبه الإذاعة من إخراج إلقاء الدروس على التلاميذ من الروتين والملل إلى جو يملأه الترفيه والتسلية .

خاتمة:

تعمل القصة على تنمية ثقافة الطفل وتربيته وتعليمه وتوجيهه إلى السلوك السّوي، فالأسلوب القصصي يجعل الطفل يتابع الدّرس ويفهمه دون كلال أو ملل، كما أنّ استخدام وسائل الإعلام كوسيط مشوّق لرواية القصة للتلاميذ في المدرسة يساهم بشكل فعال في التحصيل الدراسي الجيّد.

لهذا على وسائل الإعلام -بصفة عامة- والإذاعة المسموعة - بصفة خاصة- أن تعمل جنبا لجنب مع المعلّم من أجل تربية الطفل وتثقيفه الثقافة الصّحيحة السّليمة، وعلى وزارة التربية في الجزائر أن تفكّر بجدية في إنشاء إذاعة مدرسية في كل مدرسة.

الهوامش

- 1- يوسف قطامي، رالي الفرا، **التفكير الإبداعي القصصي للأطفال ولبيامز ط1**؛ عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2009، ص 16.
- 2- راجع: **عزي عبد الرّحمن**، "قراءة ابستمولوجية في تكنولوجيا الاتصال"، مجلة **المستقبل العربي** العدد 258 أوت 2000.
- 3- محمد زيان عمر، **البحث العلمي: مناهجه وتقنياته** الطبعة 4؛ ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 117.
- 4- إحسان محمّد الحسن، **الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي** الطبعة 1؛ بيروت: دار الطليعة للطباعة والنّشر، 1982، ص 67.
- 5- المرجع نفسه، ص 50.
- 6- المرجع نفسه، ص 47.
- 7- المرجع نفسه ص 51.
- 8- المرجع نفسه، ص 59.
- 9- المرجع نفسه، ، ص 62.
- 10- المرجع نفسه، ص 63.
- 11- المرجع نفسه، ص 64.
- 12- المرجع نفسه، ص 65.
- 13- المرجع نفسه، ص 65.
- 14- نفس المرجع، ص 66.
- 15- منيرفتح الله، **الطفل وأجهزة الإعلام**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص 56.
- 16- منيرفتح الله، المرجع نفسه، ص 60، 61.
- 17- حسن عماد مكاوي، عادل عبد الغفار، **الإذاعة في القرن الحادي والعشرون**، مرجع سبق ذكره، ص 96.